

هل هناك علاقة بين مفهوم الرب وهدف الخلق؟

مفهوم الرب والربوبية ودوره في تحقيق هدف الخلق

لله أسماء عديدة ذُكر منها أكثر من مئة وثلاثين اسمًا في القرآن و تسعة وتسعين في الروايات، وهذا العدد الهائل يعكس عظمة الله وذاته اللامتناهية. تُظهر كل من هذه الأسماء جانبًا مختلفًا من ذات الله اللانهائية. أحد الأسماء التي وردت في القرآن والأحاديث هو اسم "الرب". عندما نبحث حول مفهوم "الرب" ومعناه، تظهر سبب تسمية الله بهذا الاسم وما يظهره من جوانب جوهره اللامتناهي. تظهر الدراسات القرآنية والروائية التي تناولت اسم "الرب" ومفهوم الربوبية إحدى خصائص الله التي تتعلق مباشرة بغايتنا في الخلق. فإذا فهمنا معنى "الرب" ومفهوم الربوبية، ستتوضح لنا الحكمة والسبب وراء العديد من الأحداث التي نمر بها في حياتنا، وبالتالي يمكننا السير بسلاسة أكبر نحو تحقيق هدف الخلق.

سنقوم هنا بدراسة التشابهات بين وجود الجنين في رحم الأم ووجودنا في الدنيا بعد استكشاف مفهوم "الرب" وتحقيق دوره في الارتباط بين هذا الاسم وهدف الخلق. إن معالجة الظروف التي يعيشها الجنين في رحم الأم تُمكننا من فهم ما ينتظرنا في نهاية فترة الحمل، وكيف يمكننا أن نصل إلى هذه النقطة النهائية بأفضل حال ممكن، و الثروات التي نحن بحاجة إليها للانتقال إلى المرحلة التالية بعد الولادة، بالإضافة إلى كيفية تحديد مدى توافر هذه الثروات. بعد ذلك، سنشرح العلاقة بين اسم "الرب" وهدف الخلق بالتفصيل، ونوضح كيف تلعب ربوبية الله دورًا في تحقيق هذا الهدف النهائي لنا.

مفهوم الرب والربوبية

قد ورد اسم "الرب" كأكثر الأسماء تكرارًا في القرآن الكريم بعد اسم الله. يمكننا لفهم معنى ومفهوم "الرب" والربوبية اللجوء إلى المعاجم المتخصصة، وكذلك دراسة الآيات والروايات التي ذُكر فيها هذا الاسم. في كتب المعاني والمفردات في القرآن والحديث، تُذكَر معانٍ ومفاهيم مثل السيد، والمربي، والمدير، والمصلح، والقائد لاسم "الرب". يُظهِر ملخص البحث في المعاجم أن أساسية معنى "الرب" هي إكمال وتوجيه الشيء نحو الكمال وإزالة عيوبه.

هناك آيات وروايات متعددة تتحدث عن ربوبية الله. عند استكشاف مفهوم الآيات التي تشير إلى الرب والربوبية، نصل إلى مفاهيم مثل الهداية، والإدارة، والتدبير، والتربية. تهتدى جميع الكائنات إلى الكمال الذي يليق بها بحسب استعدادها وقدرتها. لذا فإن أبرز نقاش مرتبط باسم "الرب" هو الهداية والوصول إلى الكمال. سوف نشرح الآن كيف تتم الهداية بهذا الاسم و الظروف التي يمكننا أن نصل فيها إلى الكمال في الدنيا؟

الرب هو الهادي الأمثل نحو تحقيق هدف الخلق

عندما يسعى المربي لتوجيه تلميذه نحو هدف معين، يبدأ أولاً بإخضاعه للاختبار ليتعرف على قدراته ونقاط ضعفه. بالمثل، فإن الله بصفته الرب والمرشد، يخضعنا لتحديات واختبارات لتكشف ما بداخلنا وتظهر مدى قدرتنا وكفاءتنا وضعفنا. ومع ذلك فإن الفرق الجوهرى بين هاتين الحالتين يكمن في أن المربي يختبر التلميذ لكي يكتشف الحقائق بنفسه، بينما الله يعلم كل شيء وتكون هذه التحديات فرصة لنكشف صلابتنا وتقويمنا بأنفسنا.

الحياة كلعبة كمبيوترية متعددة المراحل

في ألعاب الكمبيوتر المتعددة المراحل، يتطلب الأمر منا اجتياز كل مرحلة بنجاح للوصول إلى المرحلة التالية. يُمنح لنا خلال هذه الألعاب عدد معين من النجوم والنقاط وفقًا لمدى جهودنا ونجاحنا في اجتياز كل مرحلة. وكلما زادت عدد النجوم والنقاط، زادت الفرص للانتقال إلى المراحل القادمة. وهكذا هي حياتنا في كل مرحلة من مراحل الحياة، لكي ننتقل إلى المرحلة التالية، يجب علينا بذل جهد والحصول على نقاط.

وفيما يتعلق بالألعاب، فإن أفضل دليل لتعلم مراحلها هو الشخص الذي صمم اللعبة نفسها. يمكن لهذا الشخص توفير التوجيهات اللازمة لكل مرحلة، وتحديد الصعوبات المتوقعة، وطرق التغلب على العقبات، وفي النهاية، الطريق للوصول إلى المرحلة النهائية. يمثل هذا العمل معنى الهداية خطوة بخطوة، حيث يسير المربي والدليل مَعَنَا لنصل إلى الخطوة النهائية لتحقيق الكمال والقمة في اللعبة! الغاية الأسمى للخلق هي تحقيق الكمال المطلق، والله هو المربي الأمثل الذي يقودنا نحو هذا الهدف العظيم النهائي، بما أنه هو الذي خلق الطرق لنا قبل الدنيا، وفي الدنيا، وبعد الدنيا. إنه هو الذي يخلق ويهدي في الوقت نفسه، فهو مصدر الخلق والإرشاد.¹

¹ . سورة طه: ٥٠: قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى

العلاقة بين الربوبية والابتلاء وهدف الخلق

إنَّ الله هو الرب، أي أنَّه هو المربي والمالك والمدبِّر! إنه ليس المالك فقط، بل هو أيضًا المربي الذي يُنمي ويُزهر، لا مجرد مالك يخلق المخلوقات ويتركها.^٢ إنه ربنا الذي يدبِّر شؤوننا، وأحيانًا يُضيف شيئًا لنا في تدبيره، وأحيانًا يجعلنا نعاني من النقص والحاجة.

في رحاب ربوبية الله، يتوجب علينا أحيانًا المرور بتجارب الاختبار والابتلاءات لنصل إلى النضج والكمال. إن هذه التحديات والصعوبات التي نواجهها هي جزء لا يتجزأ من رحلتنا نحو الكمال الشخصي والاجتماعي، فهي تساهم في تحقيق الكمال الذي نسعى إليه. بلا شك، إن العقبات الإلهية تعتبر جزءًا من الخطة الإلهية لنا، وبدونها ستكون حياتنا بلا هدف ولا توجه. لذلك فإن وجود التحديات ضروريًا، فهي تشكل جزءًا لا يتجزأ من رحلتنا نحو الكمال الإنساني، إذ أننا نحتاج إلى هذه المحن كنادٍ وساحة للمنافسة والتعليم لنكتشف قدراتنا ونتطور، تمامًا كما نحتاج إلى الامتحانات والمعلمين الصارمين لتتعلم وننمو. (قانون النسبة؛ طريقة لفهم خصائص الحياة الأخروية)

إننا نجد أنفسنا دائمًا في رحلة السعي نحو الكمال والتشبه بالله، مواجهين تحديات متعددة. إنَّ الصبر والثبات في وجه الصعاب يعادلان مثابرة النمو والتطور. فكل فرد منّا، بحسب مستوى تقدمه الروحي، يجد نفسه يواجه تحديات مختلفة، فالأنبياء على سبيل المثال يخوضون غمار أصعب الابتلاءات والمحن^٣، وذلك حسب درجة رفعتهم الروحية. وكلما ازددنا تقرباً من الله، كلما ازدادت صعوبة الاختبارات التي نواجهها، وهذا الواقع يعكس حقيقة مهمة، ألا وهي أن فلسفة ابتلاءات الله تتمثل في تطهير وتمحيص وجودنا،^٤ وبالتالي تحقيق الكمال. لذا، فلن يكون هناك مجال للشكوى أو

^٢ . القيامة: ٣٦: أَيُخَسِّبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى

^٣ . الكافي للكليني، ج ٢، ص ٢٥٢

^٤ . سورة آل عمران: ١٥٤: وليبتلي الله ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم

اليأس من الصعاب التي نواجهها في الحياة، بل سنراها ببساطة كدرجات متتالية على السلم الذي يقودنا نحو القمة المشرقة للكمال.

بعد استكشاف مفهوم الرب بعمق، توصلنا إلى استنتاج أساسي يتعلق بتمثل معنى الرب في الكمال، إذ أننا نجد أنّ ربوبية الله تلزمننا بتحقيق الكمال. ينسجم هذا مع إيماننا بأن الله بلطفه ورحمته يضع لنا تحديات وامتحانات في طريقنا ليظهر جوهر وجودنا، وليوضح لنا نقاط الضعف التي تحتاج إلى تحسين وتطوير، وبناء على ذلك نصل إلى مستوى الكمال الذي هو هدف خلقنا ويليق بنا. عندما نفهم مفهوم الرب بشكل جيد، سنؤمن بأن كل ما يقوم به الله معنا هو لتنميتنا ولكي يقربنا إلى كمالنا ومكانتنا الحقيقية.

إذا كنتم تمتلكون أي فكرة أو تصور حول مفهوم الرب، فنحن نرحب بمشاركتكم معنا ومناقشة وجهات النظر المختلفة حول هذا الاسم الإلهي العظيم.